عليه وسلم بالايمان والصلوة جميعا وقيل الصلوة عماد الدين وفي الصلوة اشرار اجلها كانت الصلوة عمادا
ومن جملتها ما فيها من التواضع بالمقول قائما وبالركوع والسجود وقد كانت العرب قد عيا بالنفور من الانحناء
فكان يسقط من يد احدهم سوطه فلا ينحني لاخذه ويقطع شراك نعله فلا ينكسر رابطه لاصلاحه
حتى قال حكيم بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على ان لا اخذ الا قائما فبايعه النبي صلى الله عليه
وسلم ثم فقه وكان ايمانه بعد ذلك فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعة امر به ليتكسر
بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستشعر التواضع في قلوبهم وبه امر سائر الخلق فان الركوع والسجود والمقول
قائما هو العمل الذي يقتضيه التواضع فلذلك شرع ونفسه فليتطرح كلما يتقاضاه الكبر من الافعال فليواظب
على بعضها حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل
جميعا وذلك يخفى المعلاقة بين القلب والجوارح وبين الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من
عالم الملكوت **المقام الثاني** فيما يعرض من التكبر بالاسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه
ان الكمال الحقيقي هو العلم والعمل واما ما عداه مما يفتخر بالموت فكمال وهمي فمن هذا يفسر على العالم ان لا يتكبر ولكنا
نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الاسباب السبعة الاول النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب
فلينظر اولا في معرفة امر من احدها ان هذا اجمل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل
لقد فخرت باباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا ٭ فالمتكبر بالنسب اركان نسبه ما وصفات
ذاته من ايدي جنسه كمال غيره بل لو كان الذي ينتسب اليه حيا لكان له ان يقول الفضل لي ومن انت الا دوده
خلقت من بول ابي فترى ان الدودة التي خلقت من بول الانسان اشرف من الدودة التي خلقت من بول الفرس هيهات
هيهات مهما تساويان والشرف للانسان لا للدود **الثاني** هو ان ينسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده
وان اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال
الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن اصله من التراب المهين
الذي يداس بالاقدام ثم من طينة حتى صار حماء مسنونا كيف يتكبر واحسن الاشياء ما نسب اليه اذ يقال له
ما اذل من التراب ويا انتن من الحماة ويا اقذر من المضغة فان كان كونه من ابيه اقرب من كونه من التراب
فيقول المخبر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة اقرب اليه من الاب فليتحقر نفسه به ثم ان كان ذلك
بوجه رفعة اقربه بالاب الاعلى من التراب فمن اين جاء رفعة واذا لم تكن له رفعة فمن اين جاء رفعة لولده
فاذا اصله من التراب وفضله من النطفة فلا اصل له ولا فضل وهذا غاية خسة النسب فالاصل يوطا
بالاقدام والفضل يغسل منه الايدان فهذا هو النسب الحقيقي للانسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب فيكون
مثاله بعد هذا المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة اصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم وقيل
اخبره بذلك والده فلم تزل فيه عزة الشرف فيما هو كذلك اذا اخبره عدول الانساب في قولهم انه ابن هذا
محجام متعاطي

محجام متعاطي القذر وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك في صدقهم افترى ذلك يبقى شيئا
من كبره لا بل يصير عند نفسه احقر الناس واذلهم فمن ورائه استشعار الحزن لحسبه ويشغل على ان يتكبر على
غيره فهذا حال البصير اذا تفكر في اصله وعلم انه من النطفة والمضغة والتراب
اذ لو كان ابوه ممن يتعاطى نقل التراب او يتعاطى الدم بالحجامة او غيرها لكان يعلم به خسة نفسه لمباشرة
اعضائه للتراب والدم فكيف اذا عرف انه من نفسه من التراب والدم والاشياء القذرة التي يتنزه منها هو في
نفسه **الثاني** التكبر بالجمال وذوائه ان ينظر في باطنه نظر العقلاء ولا ينظر الى الظاهر نظر البهائم ومهما نظر الى
باطنه رأى من الفضائح ما يكدر عليه تعززه بجماله فانه وكل ما به الاقذار في جميع اجزائه الرجيع والمعاء
والبول في مثانته والمخاط في انفه والنصاف في فمه والوسخ في اذنيه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته
والصنان تحت ابطيه يغسل الغائط كل يوم ذفعتين يتردد الى الخلاء كل يوم مرتين ليخرج من باطنه ما لو
رآه بعينه لاستقذره وظاهر ان نسبه او نفسه كل ذلك ليس وقذارته ودلة هذا في حاله وفي اوائل
خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض واخرج من مجرى الاقذار اخرج من صلب
من الذكر مجرى البول الرحم مغيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القذر وقال انس كان ابو بكر
الصديق رضي الله عنه يحطنا فيقدر لنا انفسنا يقول اخرج احدكم من مجرى البول مرتين ولذلك
قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خراء اذا رآه يتبختر قبل خلافته هذا
اوله ووسطه ولو ترك نفسه في جبانه يوما لم يتعهدها بالتنظف والغسل لتارزمنه الانتان والاقذار
وصار اقذر وانتن من الدواب المهملة التي لا تتعهد انفسها قط فاذا فطن انه خلق من اقذار وستموت
فصار جيفة اقذر من سائر الاقذار لم يفتخر بجماله الذي هو كخضرة الدمن وكالنور الازهار في البوادي
بينما هو كذلك اذ صار هشيما تذروه الرياح كيف ولو كان جماله باقيا وعرفه القبيح حاليا لكان يجب
ان لا يتكبر على القبيح اذ لم يكن قبح القبيح اليه فيتقيه ولا كان جماله اليه حتى يجد عليه كيف ولا بقاء له
بل هو في كل حال يتصور ان يتغير ويزول بعرض او حدث او قرحة او سبب من الاسباب فكم من وجوه
جميلة قد سحقت بهذه الاسباب فمعرفة هذه الامور تنزع من القلب كبر الجمال لمن اكثر تاملها
السبب الثالث التكبر بالقوة والايد فمن عرف ذلك ما تسلط عليه من العلل والامراض وانه لو توجع
عرق واحد على بدنه لصار عاجزا مركوبا ذليلا وانه لو تسلط عليه الذباب شيئا لم يستنقذه
منه ما زيدته لو دخلت انفه او عينه دخلت اذنه لقتلته ولو دخلت شوكة في رجله لاعجزته وان حمى يوما
لخلل من قوته ما لا يجد بسببه من لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على ان يدفع عن نفسه ذبابه
فلا ينبغي ان يفتخر ثم اقوى انسان فلا يكون اقوى من حمار او بقرة او جمل او فيل واي افتخار في صفة تشترك
البهائم فيها **السبب الرابع** الغنا والمال وفي معناه كثرة الاتباع والانصار والتكبر بولاية

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)